الرئيس ترامب والعلاقات الأمريكية الروسية

(الدبلوماسى، العدد 253-254 مارس/أبريل 2017)

د. نـورهان الشيـخ

nourhanelsheikh@feps.edu.eg

خـلال حملتـه الانتخابيـة أبـدى الـرئيس الأمريكـى دونالـد ترامـب مرونـة واضـحة تجـاه موسكو، بـل وعبـر عـن "إعجابـه" بـالرئيس الروسـى فلاديميـر بـوتين، وتحـدث عنـه باعتبـاره "القائـد القـوى" الـذى يجـب "التفـاهم" معـه. وفـى أول كلمـة لـه عقـب إعـلان نتـائج الانتخابـات، أكـد ترامـب "إننـا نبحـث عـن الصـداقة لا العـداوة"، فـى رسـالة واضـحة للخـارج الأمريكـى عامـة وروسـيا خاصـة، ورغـم التصـعيد الأخيـر لإدارة أوبامـا وتجديـدها العقوبـات علـى روسـيا وطـرد عـدد غيـر مسـبوق مـن الدبلوماسـيين الـروس، فـإن اتصـال هـاتفى بـين ترامـب وبـوتين أدى إلـى ضـبط الـنفس مـن جانـب موسكو وعـدم الـرد بالمثـل. الأمـر الـذى أثـار التفـاؤل بإمكانيـة خـروج العلاقـات بـين روسـيا والولايـات المتحـدة مـن حالـة التـأزم التـى تمـر بهـا منـذ مـا يزيـد عـن ثـلاث سـنوات، وحـدوث إنفراجـه وشـيكة فـى العلاقـة بـين البلـدين سـتلقى بظـلال واضـحة علـى العديـد مـن الملفـات والقضـايا الإقليميـة التـى تعقـدت علـى خلفية التناقض وتراجع التفاهم بين واشنطن وموسكو.

إلا إن التطـورات اللاحقـة جعلـت هـذا التفـاؤل حـذراً، وبـدا أن الإنفـراج المـأمول فـى العلاقـات الأمريكيـة الروسـية لـن يمثـل نقلـة نوعيـة فـى جـوهر هـذه العلاقـة والـذى سـيظل التنـافس وتنـاقض المصـالح هـو السـمة الغالبـة لـه، خاصـة وأن الـرئيس الأمريكـى لا يملـك سـلطات مطلقـة وهنـاك مؤسسـات أخـرى تشـاركه البـت فـى قـرارات السياسـة الخارجيـة أهمهـا الكـونجرس والبنتـاجون، فضـلاً عـن مـا يبديـه الحلفـاء فـى أوروبـا مـن تحفظـات علـى أى مسـاس بثـوات التحـالف الغربـى. ولـذا قـد يقتصـر الأمـر فقـط علـى أسـلوب وأدوات إدارة هـذه التناقضـات ولغـة الخطـاب المسـتخدمة والتـى مـن المتوقـع أن تكـون أكثـر هـدوئاً وقابليـة للحلـول الوسـط فـى ظـل إسـتئناف التواصـل المباشـر بـين قيـادات البلـدين، واسـتعداد ترامب لما أطلق عليه "الصفقات الكبرى".

وتتضـمن التناقضـات بـين البلـدين مـدى واسـع مـن القضـايا لعـل أولهـا الـدرع الأمريكـى المضـاد للصـواريخ الـذى قامـت واشـنطن بنشـره فـى دول شـرق أوروبـا، وكانـت روسـيا تأمـل فـى أن يعيـد ترامـب النظـر فـى الـدرع الأمريكـى، إلا إن الأخيـر أكـد عزمـه

علـى إعـادة بنـاء القـوات المسـلحة الأمريكيـة التـى وصـفها بأنـه "منهكـة"، و"إنشـاء نظـام الـدرع الصـاروخي علـى أسـاس أحـدث التقنيـات"، وقـد بـدأ بالفعـل العمـل علـى تصـميم مكونـات جديـدة فـي هـذه المنظومـة تمهيـدا لنشـرها مسـتقبلا فـي الفضـاء، فـى إحيـاء لبرنـامج "مبـادرة الـدفاع الاسـتراتيجي" أو مـا عُـرف بـ "حـرب النجـوم" الـذي دشـنه الـرئيس رونالـد ريجـان عـام 1983 وتـم تجميـده منتصـف التسـعينات، بهـدف اسـتخدام الـنظم الفضـائية لحمايـة الولايـات المتحـدة مـن الهجـوم المفتـرض بالصـواريخ الباليسـتية النوويـة الاسـتراتيجية، الأمـر الـذى يشـير إلـى اسـتمرار قضـية الـدرع الصـاروخى كأحد أبرز نقاط الخلاف الروسى الأمريكى.

كمـا تعـد قضـية تمـدد حلـف شـمال الأطلسـى (النـاتو) شـرقاً لـيس فقـط مـن حيـث العضـوية، وإنمـا بتعزيـز التواجـد العسـكرى فـى دول شـرق أوروبـا والبلطيـق المتاخمـة للحـدود مـع روسـيا لمواجهـة مـا يعتبـره الحلـف تهديـداً روسـياً، أحـد أبـرز أسـباب التـوتر بـين البلـدين حيـث تعتبـر روسـيا ذلـك تهديـدا مباشـراً لأمنهـا القـومى وخرقـاً للوثيقـة "التأسيسـية روسـيا النـاتو" التـى تـم إبرامهـا فـي بـاريس عـام 1997، وتـنص علـى أن لا يقـوم الحلـف بالـدفاع الجمـاعي عـن أعضـائه مـن خـلال النشـر المسـتمر لقواتـه القتاليـة فـي الـدول المنضـمة حـديثاً لـه. ورغـم أن ترامـب وصـف النـاتو، فـي مقابلـة لـه مـع صـحيفتي "بيلـد" الألمانيـة و"تـايمز" البريطانيـة منتصـف ينـاير، بأنـه منظمـة "عفـى عليهـا الـزمن"، وأنتقـد النـاتو ورأى أنـه لـم يعمـل علـى حـل قضـية الإرهـاب، كمـا سـبق وأن وعـد خـلال حملتـه الانتخابيـة، بإعـادة النظـر فـي التزامـات الولايـات المتحـدة فـي إطـار الحلـف، إذا لـم تـزد الـدول الأعضـاء الأخـرى فـي النـاتو نفقاتهـا الدفاعيـة إلـى 2% مـن ناتجهـا القـومى. إلا إن انتقـادات ترامـب لحلـف النـاتو، الـذى اعتبـره منظمـة "هامـة"، هـى غالبـاً لتجديـد دمـاء الحلـف وإكسـابه دور وفعاليـة أكبـر فـى مواجهـة التحـديات وتوجيهـه للتركيـز أكثـر علـى محاربـة الارهـاب، مـع تخفيـف العـبء المـادى الـذى يمثلـه الحلـف علـى الكاهـل الأمريكـى، فضـلا عـن إنـه لـيس مـن المتصـور أن يسـمح البنتـاجون لترامـب بالمسـاس بـالحلف الـذى يعتبـر العمود الفقرى للاستراتيجية العسكرية الأمريكية.

ولا تقـل الأزمـة الأوكرانيـة تعقيـداً عـن القضـايا السـابقة، وكانـت هـى الأزمـة المفجـرة للتـوتر بـين البلـدين والتصـعيد المـرتبط بفـرض العقوبـات الغربيـة علـى موسـكو. وقـد أشـار ترامـب فـي كلمـة ألقاهـا يـوم 1 أغسـطس، أمـام أنصـاره فـي مدينـة كولـومبس بولايـة أوهـايو الأمريكيـة، إلـى أنـه سـيدرس إمكانيـة الاعتـراف بـالقرم جـزءا مـن الأراضـي الروسـية، فـي حـال انتخابـه رئيسـاً، وأعـرب عـن اعتقـاده بأنـه إذا حاولـت واشـنطن مسـاعدة أوكرانيـا فـي

استعادة القرم من روسيا بالقوة فقد يؤدي ذلك إلى حرب عالمية ثالثة. وقال: "لقد فضل شعب القرم أن يكون مع روسيا، وليس مع البلد الذي كان معه من قبل (يقصد أوكرانيا)، وعلينا أن نأخذ ذلك في عين الاعتبار." إلا إن عقب توليه السلطة، اعتبر ترامب أنه لا يزال من المبكر الكلام عن رفع العقوبات بحق روسيا، وإنه سيبقي على العقوبات لفترة من الزمن، واعدا بإلغائها إذا أثبتت روسيا تعاونها مع بلاده، وهو أمر تقديرى غير محدد من حيث المضمون والتوقيت، ويعنى أن تجميد الوضع فى أوكرانيا على ما هو عليه قد يستمر لفترة ليست بالقصيرة.

ولا يخلو الملف السورى من الشد والجذب أيضاً، فقد بدا موقف ترامب مختلفاً عن سلفه أوباما حيث أعطى الأولوية لقتال داعش بدلاً من إزاحة الأسد، وأشار إلى ذلك صراحة فى مقابلة له مع وكالة "رويترز". وفي مقابلة أخرى مع صحيفة وول ستريت جورنال، فى 13 نوفمبر، حذر ترامب من أن استهداف بلاده النظام السوري أو دعمها المعارضة السورية المسلحة قد ينتهي بمواجهة مع روسيا. كما إنه لا يبدو متحمساً لدعم المعارضة المسلحة، وفي واحدة من المناظرات بينه وبين منافسته الديمقراطية، انتقد ترامب سياسة أوباما في هذا الشأن، قائلا "حاليا نحن ندعم فصائل معارضة تقاتل فى سوريا، ولا فكرة لدينا عمن يكون هؤلاء الأشخاص".

إلا إن إعلان ترامب فى 25 يناير عن عزمه إقامة مناطق آمنة فى سوريا، وتوجيهه لوزارتي الخارجية والدفاع في حكومته بوضع خطة لإنشاء مناطق آمنة للمدنيين في سوريا والدول المجاورة في غضون 90 يوما من تاريخ الأمر، أثار إنزعاج وقلق موسكو، الذى ربما خفف منه قليلاً الاتصال الهاتفى الممتد لحوالى 45 دقيقة بين بوتين وترامب الذى أعقب قرار الأخير بأيام، واتفقا خلاله على ضرورة التنسيق الحقيقي بين البلدين من أجل القضاء على داعش وجماعات إرهابية أخرى في سوريا، كما بحثا قضايا دولية عدة منها الوضع في الشرق الأوسط، والصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وبرنامج إيران النووي، وحظر انتشار الأسلحة النووية، إضافة إلى الوضع فى شبه الجزيرة الكورية، والأزمة الأوكرانية.

إن الأمر لا يبدو يسيراً على ترامب حتى لو كان راغباً حقاً فى التفاهم مع موسكو، وهناك ضغوطات داخلية وخارجية قوية لتلجيم خطواته باتجاه روسيا. ومن الواضح أن الكونجرس، رغم أغلبيته الجمهورية، لن يكون طيعاً لترامب، ولن يكون سهلاً إسقاط العقوبات التي فرضتها إدارة أوباما ضد روسيا، إو إحداث تحولات هامة فى السياسة الأمريكية فى شرق أوروبا والبلطيق، هذا

فضلاً عن الضغوطات الكبيرة من جانب الشركاء الأوربيين والتى عكستها القمة البريطانية الأمريكية فى يناير.

لقد وصلت إدارة أوباما إلى أقصى تصعيد ممكن مع موسكو، وربما يقتصر دور ترامب على "إدارة" العلاقة مع روسيا بطريقة ظاهرها التفاهم والود، دون تنازلات حقيقية عن أياً من المكتسبات الأمريكية.